تعقيب على تعقيب الأستاذ محمد بن عبدالعزيز الفيصل

اطلعت على تعقيب الأستاذ محمد بن عبد العزيز الفيصل في مجلة الدارة (العدد الأول، المحرم، ١٤٣١هـ، السنة السادسة والثلاثون) حول بحثي: "هجرات بني حنيفة إلى خارج اليمامة في القرن الثالث الهجري". وقد أبدى بعض الملاحظات التي بحاجة إلى مناقشة:

أولا: ذكر الأستاذ محمد أن استيلاء الأخيضريين على اليمامة قبل عام ٢٣٨هـ، وذلك استنادًا إلى رواية محمد بن علي بن الطقطقى (ت ٧٠٩هـ) (الأصيلي في أنساب الطالبين، ص٩١) الذي يذكر أن إبراهيم بن موسى بن الجون أمير الأمراء في اليمامة والحجاز، وكذلك رواية الفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ) (الشجرة المباركة في الأنساب الطالبية، ص٣٠) الذي يقول إن يوسف بن إبراهيم كان أميرًا باليمامة، ويستنتج أنهما كانا واليين على اليمامة قبل تاريخ قيام الإمارة الأخيضرية بعد سنة ٢٥٢هـ.

لقد رجعت إلى المصادر التاريخية المتقدمة مثل الطبري وغيره، والمصادر المتأخرة مثل ابن خلدون، وكذلك المصادر التي تناولت أنساب الطالبين، مثل علي العمري (المجدي في أنساب الطالبين)، وابن عنبة (عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب)، وابن شدقم (تحفة الأزهار)، وغيرهم، وتتبعت ولاة العباسيين في الحجاز واليمامة في العصر العباسي الأول



حتى وفاة الخليفة المتوكل سنة ٢٤٧هـ، ولم أعثر على أن إبراهيم وابنه يوسف توليا ولاية اليمامة أو الحجاز، سواء كانا من الولاة المعينين من قبل الخلفاء أو المتغلبين الثائرين على الدولة العباسية، كما أن المصادر تمر على حياة إبراهيم وابنه يوسف بالصمت المطبق، فلا نعرف متى ولدا؟ وأين مقر ولايتهما: هل هي في الحجاز أم اليمامة ؟ ولا نعرف عن تاريخ وفاتهما شيئًا، سوى أن أحمد العبيدلي يذكر في كتابه (التذكرة في الأنساب المطهرة، ص٦١) أن إبراهيم بن موسى دفن في البقيع في المدينة. علمًا بأن بعض المصادر ذكرت حياة والد إبراهيم موسى الجون ومقابلته لبعض الخلفاء العباسيين مثل أبي جعفر المنصور، والمهدي، والرشيد، حيث توفي في سويقة في الحجاز في عهد الرشيد.

لقد ذكر الرازي - الذي اعتمد عليه الأخ محمد وأثبته في تعليقه ولم يكمله - أن إبراهيم بن موسى بن الجون له "ابن واحد اسمه يوسف كان أميرًا باليمامة، وله من الأبناء المعقبين ثلاثة، محمد الأخيضر أمير الأمراء باليمامة، خرج بالمدينة سنة خمس ومائتين، وإبراهيم، وأحمد له عقب قليل، وكان له ابن رابع يسمى إسماعيل خرج بمكة في أيام المستعين لا عقب له"، والدارس لهذا النص يلحظ فيه ملحوظتين:

١ - أنه يذكر محمد بن يوسف الأخيضر، وأنه ثار على الدولة العباسية بالمدينة سنة ٢٠٥هـ، أي: في عهد الخليفة العباسي المأمون. والأخ محمد يذكر أن محمد بن يوسف ولد سنة ٢٢٢هـ؛ والصحيح أنه ولد سنة ٢١٠هـ ؛

لأن المصادر تذكر أنه كان أسن من أخيه إسماعيل السفاك بعشرين سنة، وإسماعيل ثار بالحجاز سنة ٢٥١هـ وتوفي سنة ٢٥٢هـ، وله من العمر اثنتان وعشرون سنة. فإذا كانت ولادته سنة ٢١٠هـ، فكيف يقوم بالثورة سنة ٢٠٥هـ، أي قبل ولادته بخمس سنوات؟! وهذا يدل على أن رواية الرازي غير دقيقة.

٢ - ذكر الرازي أن ثورة إسماعيل على الخليفة العباسي المستعين كانت سنة ٢٥١هـ، ويوافق المصادر الأخرى التي تحدثت عن هذه الثورة وقد نتج عنها هروب محمد الأخيضر إلى اليمامة، وتأسيس إمارة الأخيضريين بها.

فإذا كانت إمارة الأخيضريين قد قامت في اليمامة على يد والده يوسف، وجده إبراهيم، فلماذا يثور في الحجاز؟ ولم تذكر المصادر وجوده في اليمامة أو حتى مسيره منها قبل قيامه بالثورة ضد الخلافة العباسية.

ثانياً: ذكر الأخ محمد أن محمد بن يوسف الأخيضر ولد في اليمامة اعتماداً على علي بن محمد العمري (المجدي في أنساب الطالبين)، والحقيقة أن الأخ محمد لم يستوعب ويقرأ نص المجدي جيداً، فالعمري يذكر: "وَوَلَد الأمير أبو عبد الله محمد الصغير، أَوْلَد باليمامة وملكها ابن يوسف الأخيضر، ثمانية وعشرين ولداً، منهم...". فالعمري يتحدث عن أولاد أبو عبدالله محمد الأخيضر وأعقابه في اليمامة، ولم يتطرق إلى مولده سواء في اليمامة أو غيرها.



ثالثًا: ذكر الأخ محمد أن هروب محمد الأخيضر إلى اليمامة يدل على وجود مناصرين له فيها، ولقد بينت في البحث: "هجرات بني حنيفة..." ص ٢٦، أن هروب محمد إلى اليمامة بعد هزيمته من قبل جيش العباسيين بقيادة أبي الساج الآشروسي يدل على أن بعض القبائل البدوية المعارضة للدولة العباسية أيدته "مثل بني كلاب وبني نمير، لاسيما أن بني جعفر بن كلاب أخوال أبيه"، فأم والده يوسف قطبية بنت عامر من بني الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب (انظر: ابن عنبة، ص٢١٣).

رابعًا: يسأل الأخ محمد عن عدم قبول رواية ابن حوقل بدخول محمد الأخيضر اليمامة في عهد الخليفة المتوكل (٢٣٢-٢٤٧هـ). والسبب في ذلك أنها خالفت روايات المصادر التي أجمعت على أن الأخيضريين لم يتوجهوا إلى اليمامة إلا بعد فشل ثورتهم في الحجاز وهزيمتهم من العباسيين بعد وفاة إسماعيل بن يوسف وتولي أخيه محمد الأخيضر القيادة سنة ٢٥٢هـ، يقول المسعودي: "وقد كان يوسف بن إسماعيل العلوي غلب على مكة فمات في هذه السنة، فخلفه بعد وفاته أخوه محمد بن يوسف... فبعث المعتز بأبي الساج الآشروسي إلى الحجاز فهرب محمد بن يوسف، وقتل خلق من أصحابه" (مروج الذهب، ص ٢٠١). ويقول في ص٢٠٥: "ولما انكشف من بين يدي أبي الساج سار إلى اليمامة... وغلب عليها وخلفه بها عقبه المعروف ببني الأخيضر إلى اليوم". ويقول ابن حزم (جمهرة أنساب العرب، ص ٤٦) عن إبراهيم بن

موسى "جد بني الأخيضر أصحاب اليمامة... فأما إسماعيل (بن يوسف) وهو الذي حاصر المدينة حتى مات أهلها جوعًا ومات رحمه الله آخر سنة ٢٥٢هـ، وهو متردد في الحجاز، بالجدري.. وَلِيَ مكانه أخوه الأخيضر محمد، وكان محمد أسن من إسماعيل بعشرين سنة، فنهض إلى اليمامة، فملك أمرها...". ويذكر ابن عنبة (عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، ص ٢١٤) أن إسماعيل بن يوسف "ظهر بالحجاز وغلب على مكة أيام المستعين... ثم مات على فراشه فجأة في ربيع الأول سنة اثنين وخمسين ومائتين ولا عقب له، وقام أخوه محمد بن يوسف بعد وفاته وأزرى على فعله في السفك والنهب والفساد فأرسل المعتز بالسفاح الآشروسي في عسكر ضخم، فهرب محمد منهم وسار إلى اليمامة فملكها وملكها أولاده من بعده فهم هناك يقال لهم الأخيضريون"، كما أن الفخر الرازي في الشجرة المباركة، وقد ذكرناه سابقًا، يذكر أن إسماعيل ثار على الدولة العباسية "خرج بمكة أيام المستعين...". ويقول ابن خلدون بعد أن تحدث عن ثورة إسماعيل بن يوسف في الحجاز، ووفاته بالجدري سنة ٢٥٢هـ: "فهلك فَوَلِيَ مكانه أخوه محمد الأخيضر وكان أسن منه بعشرين سنة ونهض إلى اليمامة فملكها..." (ج٤، ص ٩٨). ويذكر ابن شدقم (تحفة الأزهار، ١/ ٣٨٤) بعد أن ذكر قدوم الجيش العباسي إلى الحجاز: "فهرب عنهم إلى اليمامة فملكها وتحصن بها فلم يزل بها إلى أن توفي". ثم إن اليعقوبي (ت ٢٨٤هـ) في كتابه (البلدان، ص ٣٣٤) والذي عاش في القرن الثالث الهجري، وعاصر قيام الإمارة

الأخيضرية، وتحدث عن هجرات بني حنيفة من اليمامة إلى مصر بالتفصيل لم يذكر الدولة الأخيضرية، أو أنها كانت سببًا في هجرتهم، وحتى المصادر التي اعتمد عليها الأخ محمد مثل ابن الطقطقى (الأصيلي في أنساب الطالبين)، أو الفخر الرازي (الشجرة المباركة في الأنساب الطالبية)، لم تذكر شيئًا عن قيام الإمارة الأخيضرية في اليمامة على يد إبراهيم بن موسى أو ابنه يوسف، ولم تذكر شيئًا عن ظلمهم لأهل اليمامة.

خامسًا: أما ما ذكره عن عدم استيطان بني عدي من حنيفة تمرًا وتميرًا فأنا أتفق معه في ذلك.

وأخيرًا أشكر الأخ محمدًا الذي أتاح لي الفرصة بتعقيبه لأشرح للقارئ الكريم بعض اللبس الذي ربما يحدث له أثناء قراءة البحث، كما أشكر مجلة الدارة التي أتاحت مثل هذه التعقيبات على البحوث والتي تساعد على الارتقاء بالمستوى العلمي وتدفعه إلى الأفضل.

والله أسأل أن يوفق الجميع لما يحبه ويرضاه..

أ.د. عبدالله بن محمد السيف